

التَّارِيخُ: ١٨ يُونِيُو ٣٢٠٢ م - ١٨ جُمَادَى الْآخِرَةَ ١٤٤٤ هـ.
المَوْضُوعُ: رِحْلَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى ذَاتِهِ : الْحَجُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۗ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ...

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

الْحَجُّ عِبَادَةٌ وَاجِبَةٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَادِرٍ عَلَى تَحْمُلِ تَكْلِيفِهَا بَدْنِيًّا وَمَالِيًّا أَنْ يُؤَدِّيَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي حَيَاتِهِ. هَذِهِ الْعِبَادَةُ الَّتِي ثَبَتَ فَرَضُهَا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، هِيَ إِحْدَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ. الْحَجُّ هُوَ الطَّوْفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَالْوُقُوفُ فِي عَرَفَاتٍ، لِنَبْلِ رِضَا رَبِّنَا. إِنَّهُ لِقَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ فِي رِحْلَةٍ مُبَارَكَةٍ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ. فِي الْآيَةِ الَّتِي قَرَأْتَهَا فِي بَدَايَةِ خُطْبَتِي، يُطْلَقُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا لِرِيَاةِ بَيْتِ اللَّهِ مَا يَلِي: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۗ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ.¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْمُسْلِمُ الَّذِي يَنْوِي آدَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ، يُدْتَرُّ لِبَاسِ الْإِحْرَامِ بِجَسَدِهِ وَالتَّقْوَى بِرُوحِهِ. يُعَدُّ بِاطَاعَةِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِتِّعَادِ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَعَاصِي وَالشَّرِّ وَالْقُبْحِ. مَعَ رُفَقَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُمْ وَلُغَاتُهُمْ وَأَقْطَارُهُمْ، وَلَكِنَّ الْغَرَضَ وَاحِدًا، يَتَضَرَّعُ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ²

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَرَأْتُهُ فِي أَوَّلِ خُطْبَتِي: الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ...³ الْحُجَّاجُ الَّذِينَ يَرْعَبُونَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْخَبَرِ السَّارِّ يَذْهَبُونَ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَيَتَدَرَّبُونَ عَلَى نِهَايَةِ الْعَالَمِ فِي عَرَفَاتٍ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى جَوْهَرِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ. الْحُجَّاجُ الَّذِينَ أَتَوْا إِلَى مُزْدَلِفَةَ بِالتَّدْفُقِ مِثْلَ الطَّوْفَانِ بَعْدَ الْوُقُوفِ عَرَفَاتٍ، تَوَقَّفُوا لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فِي مُزْدَلِفَةَ. يُحَاسِبُ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ. مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى مِنِّي، هُوَ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْحُبَّ الدُّنْيَوِيَّ وَلَا تَتَمَنَّى إِلَّا بَرِضًا لِلَّهِ. فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي رَجَمَ الشَّيْطَانَ فِي الْجَمْرَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ يَحْتَفِظُ بِذَاتِهِ وَطُمُوحِهِ وَهُوَ آيَاتِهِ الَّتِي تَدْعُوهُ إِلَى الْأَيْمِ مَعَ الشَّيْطَانَ بِحَجْرٍ وَاحِدًا تَلُو الْآخِرِ. ثُمَّ يَلْجَأُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الْكَعْبَةِ لِيُؤَدِّيَ الطَّوْفَ. يُوجِّهُ نَظْرَهُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَقَلْبَهُ نَحْوَ اللَّهِ. فِي كُلِّ خُطْوَةٍ تَخْطُوهَا بَيْنَ صَفَا وَمَرُوءَةٍ، تَشْعُرُ صَخَبَ أُمَّنَا هَاجِرَ بَرَحْمَةِ أَطْفَالِهَا. فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يُكْمِلُ الْحَجَّ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّجَارِبِ الْمُكْتَفَةِ يَعُودُ إِلَى بِلَادِهِ وَكَأَنَّهُ مَاتَ وَقَامَ، وَسَيُوَصِلُ حَيَاتَهُ الْقَادِمَةَ بِهَذَا الْوَعْيِ وَالْفَهْمِ. فَبِإِذْنِ اللَّهِ، يَتَلَقَى مَنْ يَقْبَلُهُ الْحَجُّ هَذَا الْبَشَرِيَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرُفْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.⁴

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَجُّ بِالتَّمَامِ الْمَعْنَى تَحْوِيلًا لِلْمُؤْمِنِ. الْحَاجُّ يَجِبُ أَنْ يَتَحَزَّمَ وَفَاءً إِبْرَاهِيمَ وَاسْتِسْلَامَ إِسْمَاعِيلَ وَتَوَكَّلَ هَاجِرَ. يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَمَلَأُ كَيْسَ خُرُوجِهِ بِطَعَامِ التَّقْوَى، وَيَتَجَوَّلُ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُوْجَدُ فِيهَا آثَارُ أَقْدَامِ نَبِينَا، أَنْ يَتَّبِعَ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ السَّيِّئَةِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ السَّلْبِيَّةِ حَتَّى لَا يَضِيعَ طَعَامُهُ. بِهَذِهِ الْمَشَاعِرِ وَالْأَفْكَارِ، أَدْعُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ حَجَّ جَمِيعِ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ يَتَقَدَّمُ 875 حَاجًّا مِنَ الْمُرَشِّحِينَ عَبْرَ مُؤَسَّسَتِنَا الدِّيْنِيَّةِ الْهُولَنْدِيَّةِ وَهُمْ حَالِيًّا فِي مَكَّةَ، وَجَمِيعِ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ يَتَوَقَّعُونَ الذَّهَابَ إِلَى عَرَفَاتٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُصْبِحُوا حُجَّاجًا.

الْوُقُوفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

³ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْعُمْرَةِ، ١٩.

⁴ صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الصَّوْمِ، ٢١، ١٩.

¹ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٩٦-٩٧.

² صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الصَّوْمِ، ١٩.